جدتي
حكت لي

(٨)

أطفال البحر
قالب الزبد والفراشات

كتبها

محمد أحمد برانق — محمد شفيق عطا

الطبعة الرابعة

دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.م.ع.

وفى يوم السبت الثانى من شهر ديسمبر « كانون الأول » وفى الحصّة الأولى دخلت المدرسة فحياها جميع التلاميذ والتلميذات .

ثم رفع « علاء » يده .

وقال : جدتى حكت لى حكاية لطيفة فى هذه الليلة .

فقالت المدرسة : ماذا حكت لك جدتك يا علاء ؟

قال علاء : جدتى حكت لى حكاية « أطفال البحر » .

فقالت له المدرسة : احك الحكاية .

قال « علاء » :

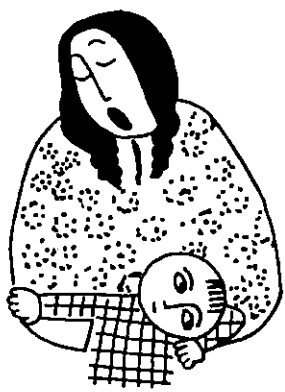

أطفـال البحـــر

كانَتْ هِنْدُ تَسْكنُ فى بَيْتٍ بالْقُربِ منْ شاطئِ البحْرِ ، وكانَ بهَذا البيْتِ حجرةٌ بها خمسةُ أَسِرَّةٍ مُرِيحة ، لا ينامُ فيها أحَدٌ ، وكانتْ هندُ وحيدةً حزينةً ، مع أنَّها كانت تجِدُ ما تُحِبُّ منْ ثيابٍ ثمينةٍ غاليةٍ ، وطعامٍ جيِّدٍ ، فلَيْس معَها مَنْ تَلعبُ معَه أو تَتَسلَّى ، أو حَتَّى منْ تخْبِرُه بمَا فى نفْسِها ، وتبُثُّه شَكْواهَا ، وذلك لأنَّ أباها وأمَّها كانَا بَعِيدَيْن عنْها جدًّا ، كانا حينئذٍ فى رِحلةٍ فيما وراءَ البحارِ .

وتمنَّت هندُ لو تمكَّنَت من إحْضارِ خَمسَةِ أطفالٍ ، لتَضَعَهم فى هذِه الأسِرَّةِ الخاليةِ ، لِتلْعبَ معَهُم طولَ

يوْمِها ، فاللَّعِبُ بالدُّمَى والعرائِس لا يُمْكِن أبدًا أن يكون مسلِّيًا مثْلَ اللعب مع الأطفالِ الحقِيقِيِّين .

وكانت هِنْدُ كثيرًا ما تُحدِّثُ نفْسَها بذلك ، وهى تسِيرُ على شاطئِ البحْرِ ، فقدْ كانت تُحِبُّ البحْرَ والرمالَ ، والأمواجَ التى تُرْسِلُ الرَّذاذَ المُتطايِرَ ، وتُحِبُّ صُخورَ البحْرِ ، والبُحَيْراتِ العميقةَ حيثُ يعيشُ الْجَمْبَرِى ، وتَكْثُرُ الأشياءُ الغريبةُ كالأصْدافِ ، وأبِى جَلَمْبُو ، وشَقائِقِ النُّعْمانِ .

كانت هِنْد لا تَزالُ تُفكِّر فى الأطفالِ والنباتاتِ البحْرِيَّةِ ، والْقَواقِع ، والأصْدافِ ، عندما سَمِعَتْ صوتَ مَاءٍ يَتطايرُ منَ البحيرةِ المجاورةِ ، فنَظَرت فرأَتْ هُناك سمكةً كبيرةً لَها زِعْنِفةٌ طويلةٌ شائكةٌ على ظَهْرِها ، تكْسُوها قُشورٌ فِضِّيَّةُ اللَّوْنِ ، وكانت هذه السمكةُ

تُحاوِلُ أنْ تَقفِزَ مِنَ البحَيرةِ لِتُخلِّصَ ذَيْلَها الذى كانَ قدِ انْحَشرَ بيْنَ صَخْرتَيْنِ ، ولـكنَّها لم تكُنْ تستطِيعُ تَخْلِيصَه ولا أنْ تَنْحَنِىَ ، ولا أنْ تَدُورَ .

اقْتربتْ هِنْدُ منَ السمكةِ ، فرأَتْها ذاتَ عينيْنِ مُبَحْلِقَتَيْنِ ، فسَمَّتْها « الْبُحليقَ » ولما كانت هِنْد فتاةً طيبةَ القَلْبِ ، فلم تَقْدِرْ أنْ تَذْهَبَ ، وتَترُكَ السمكةَ المسكينةَ مَمْسُوكةً منْ ذيْلِها ، لذلك وقَفتْ وساعَدَتْها حتى خلَّصَت ذَيْلَها ، وأطْلقَت سَراحَها ، وجاءت مَوْجةٌ عظيمةٌ إلى البحيرةِ ، فضَرَب «البُحليق» بِذَيْلِه ، وأرادَ أنْ يعُودَ إلى مَكانِه فى البحْرِ معَ الموْجَةِ القويَّةِ ، فصَرخت هِنْدُ :

خذْنِى معَك ، إنِّى أريدُ أنْ أرَى : هل هُناك تَحتَ الماءِ أطفالٌ منَ البحْرِ كما قَال خَالِى .

فانْحَنَى البحليقُ بطريقةٍ دَائريَّةٍ ، واسْتَقَامَ بَعْد ذلك ، لكَى تَتمكَّنَ هِنْدُ مِنَ الركوبِ فوق ظَهْرِهِ .

ولما رَكِبَتْ هِنْد ، قال لَها البحليقُ : ضَعِى ذِراعَيْكِ حوْلَ رَقَبَتِى ، وأَغْمِضِى عيْنَيْك ، فإنَّ مَلِكةَ البحْرِ سوْف تكُونُ فى أَشَدِّ حالاتِ الغَضَبِ ، إذا عَلِمَتْ أننى سأُطْلِعُكِ عَلى أىِّ سِرٍّ من أسرارِها .

طَوَّقَت هِنْد عُنُقَ البحليق بِذراعَيْها ، وأمْسكَتْه بقُوَّةٍ ، وأَغْمضَت عيْنَيْها ، ولم تَفْتَحها حتَّى أَنْزلَها البحليقُ عَلى الرِّمالِ الناعمةِ فى قَاعِ البحْرِ .

وقَفَتْ هِنْدُ على الرِّمالِ وفَتحتْ عيْنَيْها ، ولكنَّها دهِشتْ ؛ فإنَّ المياهَ المالحةَ لم تدْخُلْ عيْنَيْها ، واعْتقَدتْ أنَّه لا بُدَّ أن يكُون هناك سِحْرٌ ، ورَأَت كلَّ شىءٍ مِن حَوْلِها مُضِيئًا ، يَشعُّ منْه النُّورُ ، وكأنَّها تَقِفُ فى

ركبت هند فوق ظهر « البحلايق »

حديقةِ مَنْزِلِها ، وليْسَت فى أعْماقِ البحْرِ .

وتعجَّبت هِند ، وقالت بفرحٍ : أَليسَ هذا رائِعاً وبدِيعاً ؟ !

لقد كان المنظرُ من حولها رائعاً حقاً ، لقد كان هُناك أشجارُ المَرجانِ القَرَنْفُلِيَّةُ الحمراء ، وكانتِ الأرضُ الرمليَّةُ مُغطَّاةً بالأصدافِ من كلِّ لوْنٍ ، وكان فرحُ هِنْد بما رأت عظيماً ، فصارت تجرى فى كلِّ اتِّجاهٍ ، مُهَلِّلَةً مسرورةً ، وتقدمت نحوَ البُحليق تشكرُه ، ولكنها وجَدَته عابساً مُكَشِّرًا ، وقال لها :

إذا كان هذا طَبْعَكِ ، فالأفضلُ أن تَعُودى إلى منزلِك الآن ، والتفَّ حولَ نفسِه ثلاثَ مراتٍ ، وضربَ بذيْلِهِ ثم مرقَ كالسَّهمِ .

لم تشعُرْ هِندُ بالسَّأَمِ والمَلَلِ بعد ذَهابِ البحليق ،

فقد رأت صدفةً بيضاء ضخمةً فى وسطِ أشجار المَرْجان ، كانت تُشبهُ قارباً مُستديراً كبيراً، وكانت حافَتُها تلمعُ ، وتخرج منها أشِعَّةٌ جميلةٌ ، وكأنَّها أمُّ اللُّؤْلؤِ .

وهمستْ هِندُ : لا بُدَّ أن أرى ما بداخلها ، ووقفت على أطرافِ أصابعها ، لأنَّ الصدفَةَ البيضاءَ الكبيرةَ كانت تتحرَّكُ برِقَّةٍ يميناً وشمالاً ، كأنما نسمَةٌ تهُبُّ عليها فتُحرِّكُها ، وقد خيِّل إلى هِندَ أنها سمعت صوْتَ ضَحِكٍ خافتٍ .

ونظرت هِندُ من فوق حافَةِ الصَّدفَةِ ، فرأَت بفُرْجَتِها خمسةَ أطفالٍ ، من أجملِ أطفال البحر الصِّغار ، الذين لا يُمكن أن يحلُم إنسانٌ برُؤْيتِهِمْ ، كان أربعةٌ منهم نياماً ولكنّ الخامسَ كان راكعاً ، ووجْنَتاه مُنْتفِختان ، وهما فى لون الورد ، ونظر إلى هندَ وضحِك ،

فضحِكت له ، وبدأت تهزُّ الصدفةَ التى تُشبهُ المهْدَ ، وتُغنِّى لهم :

يا أطْفالَ البحر الخمسهْ يا أحباب القَلْبِ ورُوحى
أنتُم عِزّ وفضلِ ونِعْمهْ أنتم أحلى هَديَّهْ لِمَامَا

كم كانت تودُّ هِندُ أن يكونوا معها ، وأن تُقدِّمهم لِأُمِّها التى ستحضُر اليومَ من غَيبتِها الطويلة معَ أبيها ، وكم كانت تودُّ أن تملأَ فراغَ الأسِرَّةِ الخمسةِ الخاليةِ وكانت أُغْنيتها بديعةً ، وصوْتُها عَذباً ، فيه حنانٌ وحُبٌّ وعَطْفٌ وشفقةٌ ، مِما جَعل الأطفالَ يصحُون من نومِهم ويضحكون ، ويُصدِرُون أصواتًا كأصواتِ الحمامِ ، ثم أَخذوا يتسلَّقون جَوانِبَ الصدفةِ ، ليصلوا إلى هند ، وقبَّلها بعضُهم قُبلاتٍ حارَّةً وصرخ أكْبرُهم :

مامَا ! ماما ، ماما .

نظرت هند من فوق حافة الصدفة ، فرأت بفرجتها خمسة أطفال

وحينئذٍ ظهر لها محارٌ من محارِ البحرِ ، وفتح صدفته ، وقال لها .

يجبُ عليكِ أن تعرفى وَاجبَكِ ، وتلْزَمى شُئُونَكِ فقط ، وتَهْرُبى بعيداً عن هُنا ، وإذا لم تَفعلى ذلك فسوف تَأْتى مَلِكة البحر ، وتُحَوِّلُكِ إلى أبى جَلَمْبُو ، أو إلى قَوْقَعةٍ . إنَّ هؤلاءِ الأطفالَ لها ، والقاربُ السحْرِىُّ يُطيعُها هى فقط .

فصرخت هِندُ فى المحار ، وقالت :

إنهم ليسُوا مِلكًا لها ، إنهم آدَمِيون حقيقةً ، ولقد سرَقتهم هـــذه السارقةُ من الأسِرَّةِ الخمسةِ الخاليةِ فى منزِلِنا . ولهذا فإننى سوف آخذُهُم معى مهما كان الأمرُ ، ومهما حدثَ فلَن أذهبَ حتى آخذَهُم معى .

ولم تسْمعِ الكلامَ ، وقفزت هندُ إلى القارب .

فغنّى أطفالُ البحرِ : هُبْ ، هب ، هب ، مَلكة ، ملكة ، ملكة ، ملكة

فقالت هندُ :

نَعَمْ سأكونُ الملكةَ التى تأتى لتأخُذَكُم إلى المنزل ، لترجِعوا إلى أسِرّتكُمُ الخمسةِ .

وبينما كان الأطفالُ ينطقون بهذه الألفاظِ ، ارْتفعت الصدفةُ التى كانت تُشبهُ القاربَ إلى أعْلَى ، ثم إلى أعْلى ، ثم إلى أعْلى . إلى أن وصَلت إلى أعلى البحر ، حيث الأمواجُ تصطدِمُ بالشاطئِ ، فحملت الأمواجُ هِندَ وقاربَها والأطفال الخمسةَ إلى الرمالِ الذهبية .

وفى ذلك الوقت الذى رحلت فيه هندُ مَعَ الأطفالِ الخمسة ، حضرتْ ملِكةُ البحرِ فغضِبت وثارت ، وأخذت تصيحُ حتى هزّتْ صيحاتُها العاليةُ الغاضبةُ أركان بيتها المرجانىِّ .

ولم تهتمَّ هِندُ بغضَبِ الملِكة ، ولم تخَفْ منها ، وإنما أسرعت فحملت ثلاثةً من الأطفال بين يدَيها ، ووضَعتِ اثنيْنِ على كَتِفيْها ، وأسرعت بهم إلى المنزل ، ووضعت كلّ واحدٍ منهم فى سريرٍ مِن الأسِرَّة ، وحضَر أبوها وأُمُّها فصعِدت معَهما إلى الطبقة العليا ، لتُرِيَهُما الأسِرّةَ ، وفيها الأطفالُ الخمسةُ ، ولهم شعرٌ ذهبيٌّ ، ووجناتٌ مُورَّدةٌ .

واستَيْقظت هِنْدُ على قُبُلات أُمِّها وأَبيها لَها ، وكانا قد عادا من سَفرِهما ، ولما نظَرت حولها تبحثُ عن أطفالِ البحرِ الذين وضعتهم فى الأسرّةِ الخمسةِ لم تجدْهُم . وحينما ذهَبت إلى الشاطئِ لترى الصَّدَفةَ التى حَمَلَتْها والأطفال من قاعِ البحر ، لم تجدها أيضاً .

وتحيَّرت هندُ وتساءلت :

أيْنَ ذهب الأطفالُ ؟ وأيْنَ ذهبت الصَّدفةُ ؟ أعادُوا

إلى البحر ؟ أم إنَّ ما رأَتْه وحدث لها كان حُلْماً ؟

لقد كانت هندُ فى دهشةٍ ، إنّها واثقةٌ كلَّ الثقةِ أنّها شاهَدتْ السمكةَ الكبيرةَ التى أَسْمتْها البحليق .

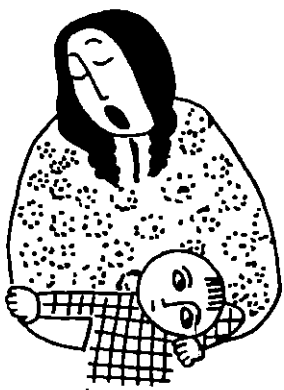

انتهى «علاء» من حكاية «أطفال البحر» وسمعه التلاميذ والتلميذات وسروا منه سروراً عظيما .

وسألتهم المدرسة الأسئلة الآتية :

١ ــ ماذا تمنت هند ؟

٢ ــ بم كافأ «البحليق» هند ؟

٣ ــ ماذا رأت هند فى جوف البحر ؟

٤ ــ ماذا رأت هند فى داخل الصدفة ؟

٥ ــ كيف أمكن هند أن تخرج بالأطفال الخمسة إلى الشاطئ ؟

٦ ــ من الذى أيقظ هند ؟

أجاب التلاميذ والتلميذات عن الأسئلة إجابات حسنة .

وفرح «عاطف» وقال للمدرسة أنا أستطيع أن أقص القصة كما قصها علاء .

قالت له المدرسة : قص القصة مرة أخرى يا عاطف .

وقف عاطف وقص القصة . فشكرته المدرسة .

قال «عاطف» : فى يوم السبت الآتى أحكى حكاية أسمعها من جدتى كما سمع «علاء» من جدته .

فوافقته المدرسة على ذلك .

وقالت : القصة فى المرة القادمة لعاطف .

وفى يوم السبت الثالث من شهر ديسمبر « كانون الأول » وفى الحصة الأولى دخلت المدرسة ، فحياها جميع التلاميذ والتلميذات .

ثم رفع « عاطف » يده .

وقال للمدرسة : جدتى حكت لى حكاية لطيفة فى هذه الليلة .

فقالت له المدرسة : ماذا حكت لك جدتك يا عاطف ؟

قال « عاطف » : جدتى حكت لى حكاية : « قالب الزبد والفراشات »

قالت المدرسة : احك الحكاية يا « عاطف » .

قال « عاطف » :

قالب الزبد والفراشات

أَتمَّتْ « قالَبُ الزُّبدِ » عامَها الثَّانىَ ، وهىَ تَتَمَتَّعُ بعطْفِ والِدَيْها وعِنايتِهما ، ولـكنَّ القدَرَ لم يَترُكْها فى هذِهِ النِّعمةِ ، فاخْتطفَ الموتُ والدَها ، ثم والدتَها ، وبَقِيَت المِسكينةُ وحيدةً ، لا عائِلَ لَها منْ قَريبٍ أوْ صَديقٍ ، ولـكنَّ رَحمةَ اللهِ قَريبةٌ منَ الناسِ ، فَرَقَّ لَها قَلبُ الحُوريَّات ، والجِنِّياتِ الماهِرات ، فَبنيْنَ لها بَيْتًا صغيرًا فى قلْبِ الغابةِ الضَّخمةِ البَعيدةِ عن العالَمِ المزْدحِمِ ، لتَنْموَ نُموًّا حَسَنًا ، وتَنْشأَ فتاةً جَميلةً بَين أَحْضانِ الطَّبيعة .

وبالطَّبعِ لنْ تَسْتطيعَ هذه الطفلةُ الصَّغيرةُ أن تَحصلَ

على طَعامِها وشَرابِها من الغابةِ ، ولِهَذَا بَنتْ لها الجنياتُ المنزلَ الصغيرَ العجيبَ من أشياء طيِّبةٍ كثيرةٍ ، فقدْ كانت جُدرانُ هذا البَيتِ من الخُبْزِ وقِشرتُه الخارجيَّةُ بُنِّيَّةُ اللَّوْنِ ، واللُّبابُ الأبيضُ مِن الداخلِ ، وكانت أرْضيَّةُ الحجَرِ من الجُبْن ، بَيْنما كانتِ المَوائدُ والكَراسِيُّ من الشِّيكولاتةَ ، ولكنَّ الكُرْسيَّ الكبيرَ الجميلَ الذى كانت تَجلسُ علَيه « قالبُ الزبدِ » كان مَصْنوعاً من الزُّبدةِ الخالِصة ، ومُغَطًّى بِالمَسْلِي ، ولهَذَا كانَ لَيِّناً مُريحاً .

وأَنْشَئوا لَها حديقةً صغيرةً جميلةً مليئةً بِالأزْهارِ المُتفتِّحةِ ذاتِ الألوانِ المختلفةِ الجذّابة وبالفواكهِ النّادرةِ الطيِّبة ، وفى وَسطِ هذهِ الحديقةِ بِركةٌ جَوانبُها منَ المَرْمرِ ، والمَرْجان ، ويُحيطُ بها أزْهارٌ تَتفتَّحُ طُولَ العام ،

ويَسْبحُ فى هذهِ البِرْكةِ أنواعٌ من السَّمَكِ العَجيبِ ، تَستَطيعُ الطفلةُ أن تَصطادَ منه ما تشاء فى أىِّ وقتٍ ، وتتَغَذَّى به ، وقد علَّمتْها الجنِّياتُ كَيف تُمسِكُ السمكَ فى شَبكةٍ حَريريَّةٍ ؛ وأرْشدْنَها إلى الخشبِ الّذى تَجمعُه من الغابة ، وكيف تُوقدُ النَّارَ الهادئةَ ذاتَ اللّهبِ الأخضَر والأزرق ، وتَصنعُ عليها طَعامَها .

وذاتَ مَساءٍ أرادتْ « قالَبُ الزُّبدِ » أن تُهيِّئَ عَشاءها ، فقامت إلى جِدارِ البَيت ، وأخَذَتْ منه قِطعةً من الُخبزِ ، ووَضعَتْها على المائدةِ ، فالْتَأمَ الحائِطُ ، وعادَ مكانُ القِطعةِ سليماً كما كان ، ومالَتْ وقَطعت قِطْعةً من الُجبْنِ من الأرضِ ، فوُجِد مَكانَها قِطْعةٌ أُخرَى ، وكأنّها لم تَأخذْ شيئاً ، ثم ذَهبت إلى الحديقةِ ، وقَطفت بَعضَ الفراوْلةِ الجميلةِ اللّذيذة ، ثم مَلأتْ دوْرَقاً بالماءِ

منْ مِضَخَّتِها ، وأكْملَت وَجْبتها ، ثم جلَسَتْ تَأكلُ علَى المائدةِ سَعيدةً مَبْسوطة .

وفى ذَلك المساءِ شعَرت « قالَبُ الزبدِ » بالسَّعادةِ ، فهِىَ تَفعلُ ما تَشاءُ ، وكلُّ ما تَوَدُّه تَحصُلُ علَيْه ، وهى لا تَشعُرُ بالوحْدة ؛ فكلُّ طَلباتِها مُجابةٌ : فتَستَطيعُ أن تُحادِثَ الطيورَ ، وتُكلِّمَ الأزهارَ ، وتُصْغِىَ إلى حَديثِ الشجرِ ، حينَما يهُبُّ عليْه النسيمُ ، وقد علّمتْها الطيورُ الأغانىَ العَذْبةَ والأناشيد السَّارَّة ، وكان كلُّ ذَلك بفَضلِ الجنِّيات ، وقَصَّت علَيها الأزهارُ قِصَصاً لَذِيذة ، وهىَ تَجلِسُ بجانِبها بالحديقة .

ولَمَّا انتَهت منْ عَشائِها ذهبت إلى الحديقةِ لتَتَمَتَّعَ بالْجوِّ الهادِئِ ، وبالسُّكون الشامل ، بينما أغمضَتِ الأزهارُ جُفُونَها ، ونامَتِ الطيورُ فى عِشاشِها ، ثم بَدأ

النسيمُ يُهبُّ مُحدِثًا صوتًا بين الأوراق ، كأنّها تتهامَسُ في صوتٍ خافتٍ ، وبدَتِ الغابةُ وكأنّها تتحدَّث كلُّها في صوتٍ لَيِّنٍ هادئٍ خفيفٍ .

ثم تَغيَّر هذا الْهَمْسُ ، فصار أنينًا ، وتنهُّداتٍ . وعجِبت قالبُ الزبدِ لِهذا التَّغيُّرِ المُفاجئِ الذى طرأَ على الأشجارِ ، ونظرَت مِنْ بينِ الأغصانِ إلى السماءِ ذاتِ النُّجومِ اللّامعةِ ، فلاحظت أنَّ نجمةً تَلمعُ لمعانًا شديدًا ، وتُبرِقُ بَريقًا أخّاذًا ، ثم بدأَتْ هذه النجمةُ تتّجهُ نحوَها وهي تنظُر إليها ، وكُلَّما اقتربتْ منها كبرَتْ وزادَ حجمُها ، ولما وصلَتِ النجمةُ إلى أعلى الشجرةِ وظهرَت لعينَيْها بوُضوحٍ ، رأَتْها جنِّيةً ذهبيَّةً جميلةً رقيقةً .

وبدأتِ الجنيةُ تُحيِّي « قالبَ الزبدِ » ، وقالتْ لها :

مَساءَ الخيرِ يا زَهْرَتَنا العزيزةَ ، مساءَ الخيرِ يا قالَبَ الزُّبدِ . فردَّتْ عليها « قالَبُ الزبدِ » ولكنَّها كانت لا تزال فى دهْشةٍ منْ أمرِ هذه التَّنَهُّداتِ ، ولاحظَتِ الجنِّيَّةُ عليها الدهْشةَ ، فقالَت لَها : أَظُنُّكِ يا عزيزَتى فى حيْرةٍ منْ أمرِ هـذه التَّنَهداتِ !! إنَّنى عندى الجوابُ ولا أحَدَ غيْرى يستطيعُ أن يُجيبَكِ عَنْ هذا . . . لقد هَبَّتِ الريحُ فى تلْكَ الليلةِ فى اتِّجاهى ، فاسْتَمَعْتُ إلى القصَصِ والْأَخبارِ التى تَحْمِلُها منَ العالَمِ الخارجىِّ ، لقد حَمَلَت إلىَّ أنَّ الأطفالَ الفقراءَ والبناتِ الفقيراتِ عَلى الأرضِ فى حالةٍ مُحْزِنَةٍ ، إنَّهم كالقصَصِ الحزينةِ ، المَمْلُوءةِ بالمآسى والآلامِ ، إنَّهم يُقاسُونَ الجوعَ والحِرْمانَ ، إنهم يُقاسُون الْبَرْدَ والْعُرْىَ ، وقِلَّةَ الغذاءِ .

فصاحت « قالَبُ الزبدِ » : آه ، يا لَهُ مِنْ حِرْمانٍ

مُميتٍ ! لقَدْ تَقطَّعَ قَلْبي منْ حِرْمانِهم وَجُوعِهِم ، وحالِهِمُ السَّيِّئَةِ .

يا سيِّدَتِي الجنيـةَ ، إنَّني أوَدُّ أنْ أُساعِدَهُم ، ولكنِّي خائِفَةٌ ألَّا أجِدَ ما أَسْتَطِيعُ مُساعَدَتَهمُ به ، فهَلْ هنـاكَ ما أستطِيعُ عَمَلَه ؟ دُلِّيني عَلى ذلِك . أرجُوكِ . .

فقالتِ الجنيةُ الذهبيةُ : نَعَم تَسْتَطِيعِين مُساعَدَتَهم ، إذا فَـكَّرْتِ وشَعَرْتِ حقِيقةً بالأسَفِ والألَمِ لهؤلاءِ المسَاكِينِ ، ورُبَّما تطِيرُ أفكارُكِ الشفيقةُ إلَى الأرضِ الشرقيةِ ، حيْثُ يُوجَدُ هؤلاءِ الأطفالُ ، وهُم يَنْتظِرُونَ الرحمةَ والإحسانَ .

وطارَتِ الجنيـةُ الذهبيةُ إلى السماءِ مرةً أخرى ، واختفت ، ولَمْ تَعُدْ تَراها « قالَبُ الزبد » ، ولكنَّ نجْمةً كئيبةً صغيرةً تحرَّكَتْ بسرعةٍ بجانبِ القمرِ ، وتركَتِ

الجنيةُ الذهبيةُ «قالَبَ الزبدِ» وَحيدةً فريدةً فى حَدِيقتِها ، تتَّجِهُ إلى الأرضِ ، وإلى الفقراءِ بأفكارِها الجميلةِ ، فمدَّتْ ذراعَيْها ، وصرخت :

آه آه ! ! إننى أستطيع أن أساعدَ هؤلاءِ الأطفالَ الفقراءَ ، إننى أستطيعُ أن أَعملَ شيئًا من أجْلِهم ، لِأُسْعِدَ حياتَهم ، وأُدخِلَ السرورَ على نُفوسِهِم ، وامتَلأَت عيْناها بالدموعِ ، ثم ظهَرَ لها أنها تَرَى خَيالَها ، وظلَّها يَنْمُو شَيْئًا فشيْئًا خلالَ الغابةِ ، وسارت إلى أقصى ما تستطيعُ من الغابةِ ، ووقَفَت فى حديقَتِها على ضَوْءِ القمرِ ، تُفكِّرُ وتفكِّرُ فى أَطفالِ الأرضِ الفقراءِ ، وظل تفكيرُها هكذا مُدةً طويلةً . . . وفجأةً سمِعَتْ صَوْتًا ضعيفا يَقتربُ منها شيئًا فشيئًا . فاعتقَدت أنه لبعضِ الطيورِ ، ولكنها لم تَلْبَثْ حتى لَمحَتْ فَوْق

رأسِها حمامةً بيضاءَ تحومُ ، وتحلِّقُ فوقَها ، فى هالةٍ من ضوءِ القمرِ تُحيطُ بها ، ثم حطَّتِ الحمامةُ ، ووقفت على كتفِ « قالبِ الزبدِ » ، فأخذتْها برِقَّةٍ ، وأمسكتْها بحنانٍ ، فلاحظت أنَّ رسالةً مَرْبوطةٌ فى رَقَبتِها ، فأخذتِ الرسالةَ ، وفتحتْها ، فرأتْها مكتوبةً بيدِ طفلٍ صغيرٍ بائسٍ ، وقرأت فيها :

عزيزتى الجنيةَ . . .

إننا فقراءُ ، محرومون ، وليس عندَنا شىءٌ نأكلُه ، إننا نريدُ أنْ نصعدَ إلى أرضِ الجنياتِ ، أرضِ الحبِّ والعطفِ والحنانِ . . .

صادق وسامى

فابتهجتْ « قالبُ الزبدِ » بالرسالةِ الصغيرةِ ، وكانتِ الحمامةُ لا تزالُ واقفةً على كتفِها ، فاتَّجهتْ

نحوَ بِرَكَتِها ، وأحْضَرَتْ كِيساً صغيراً منَ الحرير ، ومَلأَتْه تِبْرًا « ذهَباً » ورَبَطَت الكيسَ فى رَقَبَةِ الحمامةِ ، ثم ثَقَبتْ ثُقْباً فِى الكيسِ ، وطالَبتِ الحمامةَ بأَنْ تَطير فى الحالِ إلى « صادِقٍ وسامِى » وفَهِمَ الطائرُ ما أَرَادَتْ ، وطارَ فى الحالِ .

وفى الصباحِ اسْتَيقظَ صادِقٌ وسامِى مُبكِّرَيْن ، وأسْرَعا لِيَرَيَا هَـــل عادَتْ حَمامَتُهما التى طارت بالرِّسالَةِ .

ثم ما كانَ أشَدَّ ابْتِهاجَهُما حينَ رأَيا الحمامةَ واقِفةً عَلى الحائطِ ، فاتَّجَها إليها باهْتِمامٍ لِيَرَيا هل حَمَلَتْ إِلَيْهِما رَدَّ رِسالَتِهما إلى أرضِ الجنياتِ ، وتَقدَّمَ صادِقٌ منَ الحمامةِ ، ولكِنَّه لم يجِدْ شَيْئاً تحت جَناحِها ووَجَد كِيساً فى عُنُقِها ، فَتَّشَه فوَجَده

حطت الحمامة ، فأخذتها قالب الزبد برقة

منَ الحريرِ الأخْضَر ، وبِه بَقَايا تِبْرٍ قد سَقَط من ثُقْبٍ صغيرٍ فِيهِ ، وصَرَخ صادِقٌ :

سامِى ، سامى ! أُنْظُر !! أُنْظر !! إنَّ التِّبْرَ الذى كانَ فى الكِيسِ عَمِلَ طريقاً لامِعاً مُمتدًّا إلى مَسافاتٍ بَعيدةٍ ، إن الجنيةَ تُعرِّفُنا الطريقَ إليها ، إنّها فى آخرِ هذا الطريقِ الذى يُشيرُ إليه هذا التِّبرُ اللامِع .

وصَمَّمَ صادقٌ وسامى على ألَّا يَذْهبا إلى المدرسةِ فى هَذا اليومِ ، بل يَسِيرا على هَدْيِ هذا التِّبرِ الذى سيُوَصِّلُهُما إلى أرضِ الجنيات .

وفرِح سامى ، ونَطَّ من الفَرْحة ، وفرِح صادق ، ونطَّ من الفرْحة ، وقالا معاً :

إلى أرضِ الجنِّيات .

سار صادقٌ وسامى فى اتِّجاهِ التِّبر ، وسارا وسارا ؛ حتى

تَعِبا من السَّير ، وشَعَرا بالجوعِ ؛ لِأنّهما نَسِيَا أن يُفْطِرا صَباحاً .

وأتَى الظُّهرُ ، وقد مَرَّا بقَرْيةٍ تُشبِهُ أرضَ الجنيات ، بها حدائقُ عَجيبةٌ ، وحُقولٌ واسعةٌ ، وأزهارٌ بَرِّيةٌ لها ألوانٌ مختلفةٌ ، وأشجارٌ ظَليلةٌ ، وطُيورٌ تُغنِّي فَوقَها ، وأرانِبُ تَقْفِزُ هُنا وهناك ، ولكنَّ التِّبرَ كان لا يزالُ يُشيرُ إلى أن الأرضَ الموْعودةَ لم تَأتِ بَعدُ ، فسارا وسارا حتّى قادهُما التبرُ إلى وادٍ فَسيح ، ثم إلى تَلٍّ عالٍ ، ثم إلى جِسرِ نَهْرٍ عَظيم . . .

وأيْقَنا بَعد أن فارَقا القريةَ أنّهُما قد مَرَّا بقريةٍ مَسْحورةٍ . .

وصرَخ الوَلَدان :

آه ! آه ! ماذا نَفعل ؟ ؟ ماذا نَفعلُ ؟ إننا لنْ

نستطيعَ أن نمشِيَ فوق هذه المياهِ العظيمةِ .

وتَحيَّر صادقٌ وسامى فيما يَفعلان ، كان طريقُ التِّبرِ يَشُقُّ أمامَهما المياهَ ، ويَلْمَع فى وسَطِها ، وهَمَّ كلٌّ منهما بخَلْعِ حذائِه ، ليمشِيَ فى هذا الماء ، ولكن حَدث شىءٌ عجيبٌ مدهشٌ فالتِّبْرُ قد تَماسَك ، واتَّسَع ، وانْحَنَى ، وصارَ عاليًا فوقَ سطحِ الماء ، ثم صار جِسرًا ذهبيًّا ، يُمكِنهما أن يَسِيرَا عليْه .

عندئذٍ فرِحَا ، ونسِيَا تَعَبَهُما ، وقفَزا وجَرَيا فوقَ الجِسْرِ الذهبىِّ ، وعَبَرَا النهرَ ليَجِدَا الطريقَ أمامَهما لامعًا بالتبرِ ، فتبِعَاه حتى قادَهُما إلى غابةٍ واسعةٍ ... فلما وصَلا إليها وجَدا مَنزِلاً صغيرًا فى وَسَطِ حديقةٍ صغيرةٍ ، وفى آخرِ الحديقةِ بِرْكةٌ ، جَرَيا إليها ، فسَمِعا صوتًا يقول فى حَنانٍ :

آه ! مَرْحباً ، أنتما هُنا . . .

خرجَت « قالَبُ الزبدِ » أمامَ بابِ البيتِ الصغيرِ لتَسْتَقْبِلَ الطفلَيْن ، وقالتْ لهما :

هل عرَفتُما الطريقَ ؟

فأيْقَن الطفلانِ أنهما أمام جِنِّيةٍ حقيقيةٍ . وأَمْسكَتْ قالَبُ الزبدِ يَدَهُما بحنانٍ وعَطفٍ ، وقادَتهما إلى الحديقةِ ، فأكَلا من الفراوْلَة والتُّوتِ ، ثم ساعَداها فى صَيْدِ السَّمكِ من البِرْكَةِ ، ووضَعا معَها السمك على المائدةِ ، ثم أكَلوا جميعاً .

ومكَث صادقٌ وسامى مع الجنيةِ أسبوعاً على تلك الحالِ السارَّةِ ، ثم قالت لهما « قالَبُ الزبدِ » : لقد حان الوقت المناسبُ لرُجوعِكُما إلى منزِلِكما .

ثم سألتهما : ماذا تُحِبَّانِ أن تأخذا معَكما ؟

فقال سامى : أُحبُّ أن آخذَ قليلاً من الزُّبدِ . . .

فقالت لهما قالَبُ الزبدِ :

نِعْمَ هذا الاختيارُ ، لأنَّ الخبزَ عِندكم رخيصٌ ، أما الزبدُ فنادرٌ عندكم .

وصَفرَتْ قالَبُ الزبدِ ، فأقْبلَ نحوَها ستَّةٌ من الأطفالِ الصغارِ ، فقالت لهم :

احمِلوا كُرسىَّ الزُّبدِ إلى العالَمِ الخارجىِّ ، واحمِلوا عليْه هذيْنِ الطفلين ، ووصِّلوهما إلى منزِلِهما ، ثم ارجِعوا إلىَّ فى الحالِ .

وطَلَبَتْ قالَبُ الزبدِ من صادقٍ وسامى أن يجْلِسَا على الكرسىِّ ، فلما جَلَسا انحنى الأطفالُ الستةُ ، ورفعوا الكرسىَّ فوْقَ أكْتافِهم ، وهُنا صاح صادقٌ :

يا جِنِّيَّتَنَا المحبوبةَ ، إنكِ الآن ليس عِندكِ زُبدٌ ،

خرجت « قالب الزبد » أمام باب البيت الصغير لتستقبل الطفلين

فهلْ نأخذُ جزءًا ، وتأْخُذين جزءًا ؟

فقالت :

أشكركُما ، وهذا الكرسيُّ مَسحورٌ ، وكلَّما أكلتما منه شيْئا عاد كما كان . ولن يَنتهيَ هذا الزبدُ أبدًا .

طارَ الأطفالُ الستةُ بالكُرسيِّ ، وحَملوا صادقًا وساميًا حتى وَصَلوهُما إلى منزِلِهما ، فرآهُما والدُهُما وأُمُّهُما ، فابْتَهجا لرؤيَتِهما بعد غِيابِهما عنهما هذه المدَّةَ ، وفاضت عيْنُ الأمِّ بدموعِ الفرَحِ لِمَقْدَمِهما ، وأخَذتْهما بين ذراعَيْها تُقبِّلُهما وتَلثُمُهما .

تَرَكَ الأطفالُ الستةُ الكرسيَّ بالْفِناء ، وعادا إلى أرضِ الجنيات ، فَذَهب صادقٌ وسامى إلى الكرسيِّ ، وحَمَلاه وأوْصلاه إلى المَطْبخِ ، وقَصَّا على أُمِّهِما وأبيهما قِصَّتَهُما ، وقِصَّةَ الجنيةِ ، وقصةَ كُرسيِّ الزبدِ ، وأمْسَك صادقٌ

سِكِّيناً ، وقَطعَ قِطعةً من الزبد ، وعاد الكرسىُّ كما كان وقدَّم لِأُمِّه القِطعةَ لِتَذُوقَها ، فذاقتْها ، فوجدتها لَذيذةً جِدًّا ، وأعْطتْ قِطْعةً مِنها لِزَوْجِها فَذاقَها ، وفَتح فاهُ مِن الدَّهْشة .

وقالتِ الأُمُّ : سأصْنعُ لَكُما كَعْكًا منْ هَذا الزُّبد ، وقَطع الأبُ لِنَفْسِه قِطعةً من الخُبزِ ، ووَضَع علَيها شَيئاً مِن الزبد ، وصارَ يَأكلُ فى لَذَّةٍ وسُرورٍ ودَهْشةٍ .

وخرج صادقٌ وسامى إلى الفِناء ليرَيا الحمامةَ ، فوجَداها واقفةً كعادتِها على الحائطِ فصاحا فى سرورٍ :

إنها هُنا ، إنها هُنا ، سلامُنا وتحياتُنا إلى قالَبِ الزُّبدِ ، إننا نقدِّمُ لها خالصَ الشكرِ على هَديّتِها الثمينةِ ، قد مَلأَت بيتَنا سعادةً .

وتمنَّى الأطفالُ فى نَفْسَيْهِما أن يَرَيا قالَبَ الزُّبدِ لمدَّةِ

دقيقةٍ واحدةٍ ليشكُراها . فَهيَّأَتْ لهما ، وهى تُلَوِّحُ بيَدِها مُحيِّيةً ، ثم اختفت ، وفى تلك الأثناء طار من فَمِ صادقٍ فراشةٌ زرقاء ومن فَمِ سامى فراشةٌ بيضاء ، وكانتا صورةً تعبِّرُ عن أفكارهما التى تشكرُ قالَبَ الزبدِ ، وهديةً جميلةً إليها ، وطارتِ الفراشَتانِ إلى أرضِ الجنةِ رمزًا للتعبيرِ الجميلِ عنِ الوُد الخالصِ ، والشكرِ الجزيلِ .

خَرجت قالَبُ الزُّبدِ فى الصباحِ كعادتِها إلى الحديقةِ ، ووقفت على بابِ المنزلِ الصغيرِ وهىَ فى أَتَمِّ سعادةٍ ، لأنها استَطاعت أن تَصنعَ معروفًا ، وتقدِّمَ جميلًا لأطفالٍ فُقراءَ من أَطفالِ الأرضِ ، فأدخَلت إلى قُلوبِهِمُ الفرحَ ، ومَلأَت بيْتَهم سرورًا وسعادةً . . . وإن كانت قد حرَمت نَفسَها من كُرسىِّ الزُّبدِ الذى لَنْ تَأْكلَ منه بعدَ ذلك إلى آخرِ حياتِها ، ولكنها مع ذلك كانت

وفيما هى فى سعادتها رأت فراشتين جميلتين

سعيدةً ، لأنها أَسعَدتِ الآخَرين .

وفيما هى فى سعادتِها هذه شاهَدَت فراشَتَيْن جَميلَتَين لم تَرَهُما مِن قَبْلُ ، وكانَتا هُما هَديةَ صادقٍ وسامى إليها ، ووقَفتْ قالَبُ الزُّبدِ تُشاهِدُهما فى سعادةٍ وسرورٍ ودهشةٍ ، وهى تُسائلُ نفْسَها :

متَى حضَرا ؟ وكَيْف ؟ ومِن أَيْن ؟ ولِماذا ؟

ولم تَشأْ أن تَتحرَّكَ حتى لا تُفزِعَهُما ، ولا تُخِيفهُما ، وظلَّت الفراشَتانِ تَطيران من شجرةٍ إلى شجرةٍ ، ومن زَهرةٍ إلى زَهرةٍ ، حتى حطَّتَا فوقَ الأشجارِ ، وصارتْ خديقةُ قالَبِ الزُّبدِ بعد ذلك مَملوءةً بالفَراشاتِ المُلَوَّنةِ البَديعةِ التى تَظهَر فى كلِّ حينٍ ، وتَحومُ حوْلَ قالَبِ الزُّبدِ وتَطوفُ حوْل بَيْتِها ، لتُدْخِلَ عليها السعادةَ والسرورَ .

انتهى « عاطف » من حكاية « قالب الزبد والفراشات » وسمعه التلاميذ والتلميذات وسروا منها سروراً عظيما .

وسألتهم المدرسة الأسئلة الآتية :

١ ــ ماذا فعلت الحوريات لليتيمة « قالب الزبد » ؟

٢ ــ لم حزنت « قالب الزبد » بعد السعادة التى كانت فيها ؟

٣ ــ ماذا رأت قالب الزبد فى رسالة الحمامة ؟

٤ ــ ما الخدمات التى قدمتها « قالب الزبد » لسامى وصادق ؟

٥ ــ بم نصف قالب الزبد ؟

٦ ــ بم رد الطفلان الجميل لقالب الزبد ؟

٧ ــ ما الواجب علينا تجاه الفقراء ؟

أجاب التلاميذ والتلميذات عن الأسئلة التى وجهتها المدرسة ، فشكرتهم .

ثم قالت : من يستطيع أن يحكى الحكاية كما حكاها « عاطف » فرفع جميع التلاميذ أيديهم . فأذنت « لفوزية » أن تحكى الحكاية .

وقفت فوزية فحكت الحكاية كما حكاها عاطف بصوت عال ، وإلقاء جيد ، فشكرتها المدرسة .

فرحت « فوزية » وقالت :

فى يوم السبت الآتى أحكى حكاية أسمعها من جدتى كما سمع عاطف من جدته ، فوافقتها المدرسة على ذلك .

المحتويات

أطفال البحر ٥
قالب الزبد والفراشات ٢١

رقم الإيداع	١٩٩٥/٨٥٧٤
الترقيم الدولى	ISBN 977-02-5054-0

٧/٩٥/١١٢

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)